اسم الدرس : تفسير سورة الغاشية

تصنيف الدرس : خطبة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة..
فما ترك خيرًا إلا ودلَّنا عليه، وما ترك شرًا إلا وحذَّرنا منه، فصلاةً وسلامًا دائمين من رب العالمين على أشرف الخلق محمدٍ صلى الله عليه وسلم.

"يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون" [آل عمران:102]
أما بعد أحبتي في الله،
فإن الله –عز وجل– لم يخلق الخلق سدى، ولم يتركهم عبثًا، ولكن خلقهم لغاية، وأرسل إليهم الرسل، وأنزل إليهم الكتب ليذكّرهم بهذه الغاية؛ ليحيى من حيَّ عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة.

أنزل الله –عز وجل– لهذه الأمة القرآن الكريم، واصطفى لها خير الرسل محمدًا صلى الله عليه وسلم، واصطفى لنا القرآن، فطوبى لهذه الأمة، وحريٌّ بأي رجل من هذه الأمة وأي امرئٍ من هذه الأمة أن يفخر بانتسابه إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، باتباعه لسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

معنا اليوم سورة من كتاب الله –عز وجل– علَّنا نتَّعظ ونعتبر ونعمل بما فيها، فكان صحابة النبي صلى الله عليه وسلم يتشوَّقون لنزول القرآن، فإذا نزلت السورة تعلموها ليطبّقوها، هذه السورة من قصار السور في جزء عم –الذي يحفظه كثير من الناس–، في سورة الغاشية يقول الله –سبحانه وتعالى–:

"هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (1) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (2) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (3) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً (4) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (5) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (6) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (7) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (8) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (9) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (10) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (11) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (12) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (13) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (14) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (15) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (16) أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (21) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ (22) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ (23) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (24) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (25) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (26)". [سورة الغاشية]

هذه السورة العظيمة التي اصطفى الله –عز وجل– لها واتفق المسلمون على هذا الاسم، أن من أسمائها "الغاشية"، اسمٌ فيه إبهام، فليس اسمها يوم القيامة أو النار، بل اسمها الغاشية؛
لذلك اختلف المفسّرون **ما هو ذلك الشيء الذي وُصِف بالغاشية؟**

أولًا، قبل أن نبدأ في وقفات مع هذه السورة، تعالوا لنرَ موقع هذه السورة في القرآن الكريم..
هذه السورة جاءت بعد البروج والطارق والأعلى، فجاءت سورة الغاشية بعد سورة الأعلى.

إن الناظر إلى **سورة البروج**، وهو يتدبَّر في هذه السورة العظيمة، ويُفاجَأ بجهد أهل الباطل لمحاولة إبطال هذا الدين –عن طريق تعذيب أهل الإيمان جهارًا نهارًا–؛ فحفروا لهم الأخاديد، وأوقدوا فيها النيران، وألقوا بالمؤمنين في هذه الأخاديد، وصبر المؤمنون واصطفاهم الله –عز وجل– شهداء.
في سورة البروج يتبيّن لنا: **الجهد الظاهر لأهل الباطل لمحاولة إبطال هذا الدين.**

ثم تأتي **سورة الطارق**، التي تؤكد أن الله –عز وجل– قادر على أن يحفظ هذا الدين، وكذلك قادرٌ على حفظ المؤمنين: " وَالسَّمَاء وَالطَّارِقِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ. النَّجْمُ الثَّاقِبُ. إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ." [الطارق:1-4]؛ فالذي قدر على حفظ السماء من استِراق السَّمع من الشياطين قادرٌ على حفظ كل مؤمن، وقادرٌ على حفظ هذا الدين.
وبيَّنت لنا سورة الطارق: أن المكر لأهل الباطل لا يقتصر على الجَهَار بالنَّهار ولكنهم يمكرون بالليل؛ فقال ربنا في سورة الطارق: "إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا. وَأَكِيدُ كَيْدًا "[الطارق:15-16]

الذي يقرأ سورة البروج وسورة الطارق قد يصاب باليأس، قد يصاب بالإحباط..
جهدٌ لأهل الباطل علانية وخفية؛ يقتلون المؤمنين ويمكرون ويكيدون لأهل الإيمان.

تأتي **سورة الأعلى**، لتُطمئِن المؤمن أن هذا القرآن محفوظ: "سَنُقْرِؤُكَ فَلا تَنسَى" [الأعلى:6]
تأتي سورة الأعلى لتقول لك:
إياك أن تُسيء الظن بربك الأعلى،
نزّه اسم الله الأعلى: "سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى"؛ فالله –عز وجل– هو الأعلى..
أعلى من كل شيء، أعلى من كل مخلوق –سبحانه وتعالى–،
فجاءت هذه السورة لترتفع بالإنسان، تعتلي بالإنسان، ترفعه فوق شهوات الدنيا، فوق الاستغراق في أحداث الدنيا ليتزكَّى..

المؤمن مُطالبٌ في سورة الأعلى أن يتزكّى، ويذكر اسم ربه، ويصلي..

ما المانع من التزكي؟

ما المانع من الأعمال الصالحة؟

قال ربنا في ختام السورة: " بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى" [الأعلى:16-17]

فجاءت **سورة الغاشية** لتكلّمنا عن الآخرة التي نسيناها، لتحدثنا لماذا يُعرض كثير من الناس عن التزكي؟

لتخبرنا سورة الغاشية: **لا بد من سعيٍ مُقابل لسعي أهل الباطل**

وأن الذي سوف يسعى لنصرة هذا الدين في الدنيا سوف يرضى يوم القيامة: "لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ" [الغاشية:9]؛ لأنه عمل لنصرة هذا الدين، لأنه سعى، لأنه بذل.

جاءت سورة الغاشية لتخبرنا لكي لا ننسى:

أنسيتم حديث الغاشية؟! أنسيتم يوم القيامة؟!

"هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ"؟

ألم تسمعوا عن يوم القيامة؟

لماذا تركتم التزكي؟

لماذا تركتم الإيمان؟!

لماذا تركتم نصرة الدين؟!

اعلموا أن لكل إنسان وِجهة في الدنيا؛ إما أن يختار الحق وإما أن يختار الباطل..

ل إنسان له وِجهة واختيار، فجاءت سورة الغاشية لتبيّن لك أنواع الوجوه على حسب اختياراتهم في الدنيا:

-فمن كانت وجهته إلى الباطل فوجهه يوم القيامة خاشع ذليل،

-ومن كانت وجهته في الدنيا إلى الحق والسعي والبذل لنصرة الدين: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ [الغاشية:8]

لذلك جاء التعبير بلفظة "الوجوه" التي تعبّر عن الوِجهة..

الإنسان عندما يلتفت بوجهه إلى شيء وكأنه اختار هذا الشيء:

"فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا" [الروم:30] كما قال ربنا في سورة الروم؛

أقم وجهك: أي لا تختار إلا هذا الدين، لا بد أن تصطفي وتختار وتثبت على هذا الدين،

لذلك جاء الوصف بالوجوه.

"هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ" [الغاشية:1]

أولًا، ما هي الغاشية؟

الغاشية شيء عظيم يغطّي على الناس، يغشى الناس، فقالوا: ما الذي سوف يغطّي على الناس؟

هل هو **يوم القيامة؟**

يغطّي على العقول والأذهان، ولا يستطيع الإنسان أن يفكّر أو أن يفرّ أو أن يذهب إلى أي مكان، فتغشاه مكاره وأهوال وعِظم يوم القيامة؟

أم **النار؟**

كما قال ربنا –سبحانه وتعالى–: "وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ" [إبراهيم:50] ، " وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ" [الأعراف:41]

فوُصِفت النار أيضًا في القرآن بأنها تغشى..

فلو أن المقصود أن الغاشية هي **النار** التي تغطّي على وجوه أهل الباطل الذين اختاروا الباطل في الدنيا، أو **يوم القيامة** ذلك الكرب العظيم الذي يغطّي على كل الناس، إلا أهل الإيمان يكونون في رضى بسبب سعيهم: "لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ" [الغاشية:9]

وجوه أهل الباطل الذين حاربوا الدين وعذبوا المؤمنين في **سورة البروج**،

ومكروا وكادوا لهدم الدين في **سورة الطارق**،

وأعرضوا عن التزكي "وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى" [الأعلى:11] في **سورة الأعلى**،

هذه الوجوه تأتي في **سورة الغاشية** خاشعة ذليلة.

المتدبر في سورة الغاشية يلاحظ أن من المحاور الأساسية في السورة: **قضية العمل**؛ أن الإنسان لا بد أن يعمل.

سورة الأعلى تقول لك لا بد من **تزكٍّ**، هذا التزكي لا بد له من **عمل** يأتي في سورة الغاشية..

لذلك؛ القضية كلها في السعي، في العمل، في البذل في سورة الغاشية، التزكي الحقيقي هو الذي يُثمر العمل.

لذلك، الناس ينقسمون في سورة الغاشية على حسب **أعمالهم** لا على حسب أفكارهم فقط، على حسب الأعمال التي فعلوها.

لذلك، لو أردنا أن نخرج بقاعدة عامة من سورة الغاشية: (**الجزاء من جنس العمل**).

لماذا ذُكر هذا العذاب في سورة الغاشية؟

بسبب أعمالهم في الدنيا

لماذا ذكر هذا النعيم في سورة الغاشية؟

بسبب أعمالهم في الدنيا

فالناس يُنعَّمون ويُعذَّبون على حسب أعمالهم..

لذلك، النعيم والعذاب المذكور في سورة الغاشية مناسب للأعمال،

كما قال ربنا: "عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ" [الغاشية:3]

"هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ"

سواء كان يوم القيامة أو النار التي تغطي على وجوه الكفار.

[[القسم الأول]]:

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (2) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (3) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً (4) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (5) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (6) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (7)

ذلك القسم الذي رفض العمل في الدنيا:

"وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ"

يأتي خاشعًا، لكن ليس من عظمة الله، رفض الخشوع في الدنيا، رفض أن يسجد لله في الدنيا،

فالجزاء من جنس العمل؛ يُعاقب فيأتي يوم القيامة ذليلًا يغشاه السواد على وجهه، يغطي وجهه السواد.

"وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ "

العلماء قالوا: هل هناك أعمال يوم القيامة؟

لماذا قال ربنا: "عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ"؟

* فاختار بعض أهل العلم:

"عَامِلَةٌ": أي أن عملها في الآخرة الجري والهروب، وفي النار تُكلَّف بصعود الجبال وتُكلَّف بأعمال في النار، **لا على سبيل التكليف، ولكن على سبيل التعذيب**. لماذا؟

لماذا يُعذَّبون في النار بطلب الأعمال؟

لأنهم رفضوا العمل في الدنيا.

فالصنف الأول الذي رفض الأعمال، رفض الطاعات، أبى أن يطيع، لا يريد أن يعمل لله، فيأتي يوم القيامة كما قال ربنا –سبحانه وتعالى– عن الذي استمع إلى القرآن وكاد أن يُسلم في سورة المدثر (الوليد ابن المغيرة) استمع إلى القرآن وكاد أن يسلم، ثم لما فكَّر وقدَّر: أنا لو أسلمت سوف أُلزم بأعمال وطاعات، وأنا أريد أن أفعل ما أشاء؛ "بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ" [القيامة:5]،

قال ربنا عنه: "سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا " [المدثر:17]

قِيل الصَّعُود: الجبل العالي في جهنم.

يُرهَق: يُطلَب منه ويُعذَّب ويُكلَّف ويؤمر أن يصعد الجبل في النار، حتى إذا قارب الوصول إلى قمته يُضرب حتى ينزل إلى قاع النار أو قاع الجبل، ويؤمر بالصعود مرة أخرى..

يؤمر بالأعمال ويكلف بالأعمال الشاقة التي ترهقه؛ لأنه رفض الأعمال في الدنيا.

فقال ربنا: "عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ" [الغاشية:3]،

فاختار جَمْعٌ من المفسرين أن العمل والنَّصَب **الاثنان في الآخرة**:

يؤمر بأعمال، ويكلف بالأعمال التي تؤدي إلى النَّصَب في **النار** –والعياذ بالله تعالى–، أو في **عَرَصات يوم القيامة**، يذهب ويستغيث بهذا ويلجأ إلى أبيه فيُعرِض عنه أبوه، ويلجأ إلى صديقه، ويطلب من الشيطان في النار، ويطلب من الملائكة، ويطلب من السَّادة الذين اتبعهم ويذهب ويجيء ويفرّ ولا ينفعه ذلك، فقالوا "عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ": أي في النار.

* وقال بعضهم: عاملة في الدنيا بالشهوات والمعاصي، ناصبة في الآخرة بالذنوب والأغلال والسعير؛ لأن كل إنسان لا بد له من عمل، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كل الناس يغدو.."[1]؛

كل إنسان يتحرك، كل الناس يعملون لكن على حسب الوجهة: "..فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُها، أَوْ مُوبِقُها."

هناك من يعمل في الطاعات، وهناك من يعمل في المعاصي.

[1] مسلم (٢٦١ هـ)، صحيح مسلم ٢٢٣ • [صحيح]

فقالوا: الذي اختار العمل في المعاصي يَنصَب في عذاب جهنم،

عاملةٌ: أي بالمعاصي في الدنيا، ناصبةٌ: أي في النار.

* القول الثالث: قيل: **عاملة ولكنها على غير مراد الله**، كرهبان النصارى وأحبار اليهود الذين عبدوا الله على غير مراده، الضالون والمغضوب عليهم، الذين عبدوا الله بأهوائهم؛ لأنه لما أمرنا الله -عز وجل- في سورة الأعلى بالتزكي، قال بعض أهل العلم:

هذا لمن حاول التزكّي على غير مراد الله وعلى غير سنة النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا:

في هذه الآية نصيب لكل مبتدع أصر على بدعته وأعرض عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا أنه كان يعمل في الدنيا لكن على غير مراد الله، فيأتِ أيضًا يُعذَّب في جهنم -والعياذ بالله-.

لكن، اعلم أن الله -عز وجل- لا يعذّب أحدًا إلا بعد أن يُبيّن له الحق؛

"وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا " [الإسراء:15]، وقال ربنا -سبحانه وتعالى-:

"وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ" [التوبة:115]...

لكن الإنسان الذي يتبع هواه ويصرّ على ذلك، قال ربنا:

"وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ" [النساء:115]

هو الذي اختار فييسّر الله له طريقًا إلى النار، يُيسره للعسرى -والعياذ بالله-.

"عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ"

إما لأنهم أعرضوا عن الطاعات،

أو لأنهم عملوا بالمعاصي،

أو أنهم عبدوا الله على غير مراده؛

كمن تقرَّب إلى الله بعبادة الأوثان، وقالوا: "مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ" [الزمر:3]

هؤلاء إما أعرضوا عن العمل أو رفضوا العمل، فيُعذَّبون بأعمال شاقة في الآخرة وفي النار -والعياذ بالله-

ثم يذكر لنا ربنا -سبحانه وتعالى- مشهدًا من مشاهد العذاب في النار..

كان المتوقَّع أن المشهد الذي يأتي هو مشهد المقامِع التي من حديد،

مشهد سجن يُحبس فيه ويُعذَّب،

مشهد ملائكة العذاب تحيط به وتعذبه بأصناف من العذاب،

العجيب أن المشهد الذي انتُقي لنا في سورة الغاشية ليدل على مدى المشقة والعناء والنَّصب الذي يعيشه أهل النار –والعياذ بالله–: **مشهد الطعام والشراب!**

الذي هو أصلًا مشهد الرفاهية عند أي إنسان، الذي هو لحظات الراحة عند الإنسان الذي يعمل في الدنيا، ينتظر أوقات الطعام والشراب حتى يستريح.

هؤلاء الذين كانوا في الدنيا يشربون الخمر، ويستهزئون بأهل الإيمان، ويضحكون منهم، ويمكثون في جلسات يمكرون بأهل الإيمان في الطعام والشراب، انتقلوا الآن في النار –والعياذ بالله– إلى مشهد الطعام والشراب الذي فيه كل المشقة وكل التعب والنَّصب..

حتى الطعام والشراب فيه تعب ونصب ومشقة،

فما بالك ببقية حياته في النار؟!

"وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عاملة ناصبة * تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ" [الغاشية:2-4]

لم يقل لنا الله –عز وجل– (يشرب) بل (يُسقى)..!

غصبًا عنه، يتجرَّع.. هو يمر بلحظات العطش لشدة لهيب النار –والعياذ بالله– فيريد أن يشرب..

مشهد الشرب في النار أصلًا رحلة..

الذي يتتبَّع مشاهد الشرب في النار من القرآن –والعياذ بالله– رحلة:

"يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ" [الرحمن:44]، (وكأنه يذهب إلى مكان معيَّن للشراب)،

الحميم الآن: الماء الحار المغلي الذي وصل إلى أعلى درجة حرارة، ليس بمعيار الدنيا..

هذا في الأول لما يذهب، أراد أن يشرب.. مجرد أن يريد أن يشرب؛ تشوي الوجوه!

"كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ" [الكهف:29]

هو لم يشرب بعد، قبل الشرب.. مجرد الدخان الخارج من كوب الحميم –والعياذ بالله– يجعل لحم الوجه يُشوى ويتساقط، فإذا شرب، يُسقى غصبًا عنه!

* آية الرحمن: "يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ" [الرحمن:44]، هذا قبل الشَّراب رحلة إلى الشرب
* "كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ" [الكهف:29] في سورة الكهف، تشوي الوجوه قبل الشرب
* في سورة الغاشية: "تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ" [الغاشية:4]، لحظات الشرب أنه يُسقى غصبًا عنه
* بعد الشرب سورة محمد: "وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ" [محمد:15]،

تخيل رحلة متكاملة لمجرد الشرب!

في حين أن في المشهد المقابل في نفس السورة –سورة الغاشية–:

"وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ" [الغاشية:14]، "فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ"[الغاشية:12]

الماء بجانبه في كل مكان بغير أخاديد، والأكواب موضوعة إذا أراد أن يشرب في أي وقت، والنَّمارق المصفوفة والزرابيّ المبثوثة..

فمشهد الشرب في النار مقابل لمشهد الشرب عند أهل الجنة.

ثم مشهد الطعام:

" لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ * لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ" [الغاشية:5-6]،

لا يُغذّي ولا حتى يسدّ الجوع.

قيل الضَّريع: الشَّبرق اليابس، نبات من الشوك، إذا يبس أصبح سمًا قاتلًا للحيوانات في الصحراء، تُعرِض عنه البهائم وتُعرض عنه الإبل من خطورته ومن طعمه. هو يُجبر أن يأكل هذا الضَّريع في جهنم – والعياذ بالله–.

وقيل: الطعام الذي يجعل الإنسان يتضرَّع ويجأر.

لذلك، قال بعض أهل العلم:

يأتي مرة **الغِسلين**، ويأتي مرة **الزَّقوم**، ويأتي مرة **الضَّريع**،

قالوا هذا **على حسب أعمالهم**؛ كلما ازداد الإنسان فجورًا في الدنيا، ازداد الطعام سوءًا –والعياذ بالله– وعذابًا يوم القيامة –نسال الله السلامة–.

" لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ * لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ" [الغاشية:5-6]،

مشهد الطعام والشراب.

[[القسم الثاني]]:

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (8) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (9) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (10) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (11) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (12) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (13) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (14) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (15) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (16)

ثم ننتقل إلى **الوجوه الناعمة** التي تعبت في الدنيا، التي بذلت، كان ينزل منها العرق لنصرة الدين، لقيام الليل، لقضاء حوائج المسلمين، ..، كانوا يعملون في الدنيا.

هذه الوجوه الناعمة؛ " لِسَعْيِهَا "؛ لأنها كانت تسعى، لم ترفض العمل، بل كانت تعمل وعلى مراد الله، وعلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستحقوا النعيم..
فالجزاء من جنس العمل؛ كما أتعبوا أنفسهم وأجهدوا أقدامهم وأفكارهم لنصرة الدين ولخدمة المسلمين، هؤلاء يأتون يوم القيامة في النعيم.

"وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ" [الغاشية:8]
بعيدًا عن الغاشية، بعيدًا عن النار، بعيدًا عن كربات يوم القيامة، هم في موقف آخر..!

"لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ" [الغاشية:9]
حينما ينظر في صحيفته يرضى، يكون فرحانًا أنه وُفّق لهذه الأعمال، يأتي يوم القيامة سعيدًا " هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ " [الحاقة:19]،
فرحانًا لأنه تعب!
الإنسان عندما يتعب وتأتي الشهادة يكون فرحانًا أنه تعب، أنه بذل، أنه سعى، كان يبذل وغيره يلعب، فجاء يوم الفرح!
"قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ" [المؤمنون:1]
جاء يوم الفلاح!

"لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ" [الغاشية:9-10]
علوّ الجنة مناسب لسورة الأعلى، هؤلاء الذين اعتلوا عن الشهوات، وزكوا أنفسهم، الآن أصبحوا في جنة عالية، ابتعدوا عن شهوات الدنيا

"فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ"

لما ابتعدوا عن اللغو، وابتعدوا عن الباطل في الدنيا.

"لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً" [الغاشية:11]

ابتعدوا عن أي شيء يستثير الشهوات؛ ابتعدوا عن الكلام الباطل، ابتعدوا عن الشبهات، أعرضوا عن كل ذلك، فلما أعرضوا عن هذا في الدنيا، فالجزاء من جنس العمل.

"لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً * فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ" [الغاشية:11-13]

استراح، تَعِب في الدنيا، فيأتي ليستريح

"فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ" [الغاشية:13-14]

أي: الكوب منتظِرٌ، وموجودٌ، وموضوع

وقيل موضوعة: يعني مقدَّرة، مطابقة على المذاق الذي يريد، لكن المعنى الأول أشهر، أنها بجواره.

"فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ" [الغاشية:12]

قيل بغير أخدود، أي يُمسكها الله!

الماء يجري أمامك هكذا، أنهارٌ بغير أخاديد في الجنة، أي لا تجري تحت الأرض،بل تسير أمامك ظاهرة!

تخيل المشهد..

الإنسان يمسك بالكوب، ويأخذ من النهر، ثم يشرب في لحظة متعة وسعادة،

عكس مشهد الشرب الأول والعياذ بالله.

" فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ" [الغاشية:12-14]

ثم، يريدُ أن يجلس مع أصحابه، الصحبة التي كان متمسكًا بها في الدنيا، الصحبة الذين بذلوا أنفسهم لنصرة الدين، أو لقضاء حوائج المسلمين، أو لعبادة الله في قيام الليل، الصحبة يريد أن يجلس معهم..

" وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ " [الغاشية:14-15]

مصفوفة: بجوار بعضها

النمارق: الوسائد، الوسادة، يتكئ على الوسادة،

قيل إنه يجلس على واحدة ويتكئ على الأخرى، بجوار بعضهم البعض، جُعلت لهم مثل جلسة عربية هكذا مع بعضهم، مجلس..

كُلّ واحدٍ بوسائد مصفوفة؛ لأن هناك أكثر من مكان، لأن هذه لحظات اللقاء في الجنة، من متع الجنة.

لحظات اللقاء كما كانت من متع الدنيا، لحظات اللقاء بالصحبة الصالحة، ها هي الآن المتعة في لحظات لقاء أهل الجنة.

"وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ" [الغاشية:16]

النمارق المصفوفة، والزرابي المبثوثة، البسط الجميلة، الفُرش، السجاد بكل الأنواع مفروش سواء كان رقيقًا أو سميكًا، مبثوثة..

ترى مشهد الرفاهية، والانتشار والفسحة والسعة، والصحبة واللقاء، والطعام والشراب،

مشهدٌ مقابلٌ تمامًا للمشهد الأول والعياذ بالله، لماذا؟

ما سبب الفارق؟

الوجهة المختلفة، السعي والعمل، هو الذي يقرر بتقدير من الملك سبحانه وتعالى مصير الإنسان، **فالإنسان يُنَعّم أو يُعَذب على حسب أعماله، بمشيئة الرب سبحانه وتعالى.**

" لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ"

نسأل الله عز وجل أن نكون من هذه الوجوه الناعمة.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

***

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمدٍ صلى الله عليه وسلم

هذه السورة العظيمة التي بدأت بسؤال، تجعل الإنسان يقف مع نفسه،

هل سمعت عن يوم القيامة؟

هل سمعت عن تفاصيل يوم القيامة؟

هل سمعت عن النار؟

هل سمعت عن التفاصيل التي تحدث داخل النار؟

إن لم تسمع فهذه مصيبة!

لابد أن يكرر الإنسان على سمعه أحاديث الدار الآخرة، لابد أن يعايش تفاصيل الدار الآخرة؛

لأن الدار الآخرة الذي يعرض عن سماعها هو الذي يُؤْثِر الحياة الدنيا -كما في آخر سورة الأعلى السورة التي قبلها-: " بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى" [الأعلى:16-17]

فلتسمع عن هذه الآخرة!

سورة الغاشية من اسمها أنه يوجد شيء يغطي؛

فكأنه **كانت توجد غشاوة على أبصار هؤلاء في الدنيا**، توجد غشاوة..

لذلك، كما قال ربنا عز وجل: " وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ" [البقرة:7]، كما قال ربنا سبحانه وتعالى أن هناك شخص على بصره غشاوة،

وهناك إنسان هو الذي يضع هذه الغشاوة، " وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا" [نوح:7]

قوم نوح عندما كان يكلمهم هم الذين كانوا يضعون هذه الغشاوة..

فتأتي هذه السورة لترفع هذه الغشاوة وتقول لهم:

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20)

"أَفَلَا يَنْظُرُونَ" ؟

ارفع هذا الغشاء، لقد كانت أعينهم في غطاء، لقد كنت في غفلة..

تأتي السورة لتنزع الغطاء، وتنزع الغفلة، تنزع الستار، تنزع الغشاوة، وتأمرك بالنظر.

تخيل أنت تقرأ في السورة، بمجرد ما بدأت السورة أنت دخلت في تفاصيل الدار الآخرة:

"هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ"

وفجأةً، تسمع عن الوجوه الخاشعة الذليلة التي تعمل في النار وتنصب، وتتعب وتسقى، وتأكل ما لا ينفعها وتعذب به

ثم انتقلت إلى مشهد في الجنة،

ثم عادت بك السورة فجأة إلى الدنيا وقالت:

"أَفَلَا يَنْظُرُونَ" ؟

مازال الأمر متاحًا أمامك!

ارفع الغشاوة عن طريق النظر في خلق الله، عن طريق التأمل في هذه المخلوقات، كيف جاءت هذه المخلوقات!

"أَفَلَا يَنْظُرُونَ.." ؟

أقرب شيء إلى العرب في هذه اللحظة هي الإبل التي يركبها:

".. إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ" [الغاشية:17]

مَن الذي أعطاها كل هذه الإمكانيات، واختار لها الصحراء، وجعل لها أجهزة مناسبة للعيش في هذا المكان، لا تعيش في الغابة؟

مَن الذي أعطاها القدرة، سواءً القدم أو في البطون، أو طريقة الأكل والشرب؟

مَن الذي أعطاها كل هذا وجعلها تعيش في الصحراء؟

الذي خلق الصحراء هو الذي خلق الإبل، وقدر أن هذا الحيوان يعيش في هذا المكان،

مَن الذي رتب وكيف؟!

"أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ" [الغاشية:17]

مَن الذي جعل السماء لا تسقط، والكواكب لا تصتك،

ووضع هذه القوانين بدقة لضبط هذه الأمور والكواكب والنجوم؟

"وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ" [الغاشية:18]

"وَإِلَى الْجِبَالِ.."

لا تسقط على الأرض، وغيابها يؤدي إلى الزلازل

"..كَيْفَ نُصِبَتْ" [الغاشية:19] !

وهذه الأرض،

بالرغم من كرويتها وبالرغم من الأخاديد والجبال،

مَن الذي جعلها لنا مسطحة نستطيع السير فيها؟

"وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ" [الغاشية:20]

"فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ" [الغاشية:21-22]

دورك معهم أن تذكرهم بهذه الفطرة، أن يتأملوا في الخلق!

"فَذَكِّرْ.."

حاول رفع هذه الغشاوة، حاول إنقاذ هؤلاء من النار قبل أن يصلوا إلى الغاشية، إلى جهنم والعياذ بالله..

"فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ" [الغاشية:21]

كل دورك معهم التذكير.

لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ" [الغاشية:22]

لن تستطيع أن تجبر أحدًا على الإيمان!

دورك معهم أن تستثير الفطرة والتأمل والتفكر؛ حتى يغيروا الوجهة للعمل للطاعة،

حتى يأتوا يوم القيامة: "وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ" [الغاشية:8]

" فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ * إِلَّا.." [الغاشية:21-23]

أي، ولكن..

"إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ"

لكن، استثناء منقطع، لكن من تولى وكفر،

وكأن الله عز وجل يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم: ذرني والمكذّبين..!

الله عز وجل متكفل بعقابه وعذابه:

"فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ" [الغاشية:24]

أعرَضَ عن كل هذه الآيات،

كفر بما لا يُحصى من النعم،

أعرض عما لا يُحصى من الآيات،

فاستحق العذاب الأكبر!

ولا تتعجل ذلك، لو رأيت أن أحدًا منهم مات في نعيم في الدنيا، فاعلم:

"إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ" [الغاشية:25]

الله عز وجل لا يعجل بعجلة أحد..

قد ترى أحدًا من هؤلاء المبطلين المعرضين، الذين أعرضوا عن شرع الله عز وجل، تراه في نظرك يعيش منعّمًا في الدنيا، يعيش في مجالس الخمر، يعيش ويعيث في الأرض فسادًا، ثم يموت هكذا بدون عذاب ينزل عليه، فتتوقع أنه أفلت من العذاب،

فيقول الله:

"إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ" [الغاشية:25-26]

الله عز وجل متكفل بحسابه..!

الذي ينسى الدار الآخرة قد يُصاب باليأس، قد يُصاب بالإحباط، لا يتزكى، لا ينطلق في الأعمال،..

تأتي هذه السورة لترفع الغشاوة من على أعين الناس،

لترفع إيثار الحياة الدنيا،

تأتي هذه السورة بهزةٍ عنيفة؛

لتأمرنا أن نتذكر الدار الآخرة، ونجعل الدار الآخرة حديثًا بيننا:

"هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ"؟

من الشيء المتداول، الحدث يصبح متداولًا، يُصبح حديثًا بين الناس..

هكذا الدار الآخرة، لا بد أن تصبح حديثًا متداولًا بيننا حتى لا ننسَ الدار الآخرة.

أسأل الله عز وجل أن يرزقني وإياكم حسن الخاتمة..

اللهم ارزقنا حسن الخاتمة،

اللهم وفقنا لعمل صالح واقبضنا عليه،

اللهم وفقنا لعمل صالح واقبضنا عليه..

اللهم إنا نسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة..

اللهم اجعلنا هداة مهتدين، لا ضالين ولا مضلين

اللهم اهدنا، واهدِ بنا، واجعلنا سببًا لمن اهتدى

اللهم قنا من الفتن، ما ظهر منها وما بطن

اللهم جنبنا الفتن، ما ظهر منها وما بطن

اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم،

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.